الدراسات المصطلحية في التراث العربي

د.عائشة رماش

قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة عنابة

الملخّص:

إنّ الحاجة إلى المصطلح العلمي قائمة في كلّ لغة، وإذا كانت اللغات لا يمكن لها أن تتطوّر إلاّ إذا احتكت وأخذت من معين اللغات الأخرى، كان لزاما على المختصين أن يهيئوا الأدوات اللغوية اللازمة للتعبير عن هذا الجديد، فالمصطلح العلمي إمّا أن ينشأ نشأة أصيلة في بيئته، وإمّا أن ينقل من لغة أخرى. فهل استطاع التواصل والاحتكاك بين العرب وغيرهم من الأمم، أن يضيف شيئا إلى العربية؟ وما مدى مساهمته في وضع المصطلح وتطوره؟ وهل اتسع صدر اللغة العربية للألفاظ الأعجمية وبالتالي للتطور العلمي؟ .. هذه أسئلة ستحاول الدراسة الإجابة عنها من خلال الوقوف عند جهود أسلافنا العلماء في مجال وضع المصطلح، وإبراز أهم الدراسات المصطلحية في التراث العربي.

Summary

The need for the scientific term exists in each language, and if the languages cannot evolve unless there is a friction between them and one takes from the other, specialists had to prepare the required linguistic tools necessary to express this new understanding. The scientific term either arises authentically in its environment or should be transferred from another language. Could communication and friction between Arabs and other nations add something to Arabic? And to what extent does it contribute in the establishment and the evolution of the term? Is the Arabic language broad enough to contain foreign words and thus for the scientific development? These are questions to which the study will try find answers by pointing the efforts of our ancestor scientists in the field of term establishment, and to highlight the most important studies of terminology in the Arab heritage.

المقدّمة

المصطلح عبارة عن كلمة أو مجموعة كلمات تتجاوز دلالتها اللفظية والمعجمية إلى تأطير تصورات فكرية وتسميتها في إطار معين، تقوى على تشخيص وضبط المفاهيم التي تنتجها ممارسة ما في لحظات معينة. المصطلح بهذا

المعنى يستطيع الإمساك بالعناصر الموحدة للمفهوم والتمكن من انتظامها في قالب لفظي يمتلك قوة تجميعية وتكثيفية لما قد يبدو مشتتا في التصور.[1]

إنّ الحاجة إلى المصطلح العلمي قائمة في كل لغة نظرا للمتغيرات الجديدة والتطور المستمر الذي يشهده العالم، وظهور الجديد في العلوم والفنون، الأمر الذي استلزم ظهور مصطلحات خاصة، فإذا كان العلم متطورا حافلا بالجديد في كل عصر كان على المختصين أن يهيئوا الأدوات اللغوية اللازمة للتعبير عن هذا الجديد.

ولعلّ ما يميّز العلوم عن بعضها هو اختلاف مصطلحاتها ودقتها، وبتخصيص المصطلح ودقته، تستطيع المعرفة أن تتحدد وتتمكن من التطور بصورة سريعة وبشكل فعال، والمصطلح بهذا المعنى علامة دالة محددة لحقل معرفي معين، والاصطلاح يجعل للألفاظ مدلولات جديدة غير مدلولاتها اللغوية أو الأصيلة، والمصطلحات لا توضع ارتجالا؛ إذ لابد في كل مصطلح من وجود مناسبة أو مشاركة أو مشابهة كبيرة كانت أو صغيرة بين مدلوله اللغوي ومدلوله الاصطلاحي. وهذا ما تفطن إليه أسلافنا من العلماء وحاولوا تطبيقه، فصنفوا المصطلحات بحسب العلوم، وبحسب الاختصاص.

وترجع أهمية المصطلح العلمي إلى أنه أساس الدراسة والبحث والتأليف، وهو دعامة لغة العلماء؛ وقد بذلت فيه جهود معتبرة منذ القدم، وتضافرت الجهود أكثر منذ فجر القرن العشرين بطرق وأساليب مختلفة، فمن إحياء للمصطلحات القديمة، إلى استحداث مصطلحات جديدة عن طريق الاشتقاق والتعريب، فأنشأت لهذا الغرض معاجم متخصصة، إلاّ أنّ سرعة تطور العصر حال دون توحيد المصطلح فتشتتت كل الجهود المبذولة وظهر بالتالي اختلاف واضح في المصطلح العلمي بين الدول العربية.

وفي إطار وضع المصطلحات العلمية في علوم اللغة العربية، أقف عند جهود أسلافنا العلماء لعدة أسباب:

1- أن علوم اللغة من أكثر العلوم حاجة إلى مصطلحات وقوانين متأثرة بالثقافات الأجنبية (معرفة بعض العلماء بالثقافة الأجنبية).

2- التعرف على جهود القدماء في مجال وضع المصطلح.

3- أن اللغات لا يمكن لها أن تتطور إلا إذا احتكت وأخذت من معين اللغات الأخرى، فالمصطلح العلمي إما أن ينشأ نشأة أصيلة في بيئته، وإما أن ينقل من لغة أخرى، وهذا ليس عيبا أو قصورا لأن الأخذ والعطاء سنة من سنن الحياة اللغوية، لا تشذ عنها إلا لغات معزولة، لم تساير ركب الحضارة، فأي لغة لم تشبها شوائب الدخيل لهي لغة جد فقيرة. هكذا كان شأن اللغة العربية قديما أثرت في اللغات الإنسانية، وتأثرت بها منذ العصر الجاهلي. والاحتكاك بين الشعوب أساس التطور والنمو في جميع النواحي خاصة منها اللغوية، فهل استطاع هذا التواصل بين العرب وغيرهم من الأمم الأعجمية أن يضيف شيئا للعربية؟ وما مدى مساهمته في وضع المصطلح

[1]- أحمد بو حسن، **مدخل إلى علم المصطلح، المصطلح ونقد النقد الأدبي الحديث**، مجلة الفكر العربي، تصدر عن مركز الإنماء القومي، بيروت، عدد 60 –61 جانفي – فيفري 1989ص84.

وتطوّره ؟ وهل اتسع صدر اللغة العربية للألفاظ الأعجمية ؟

1- أثر التقارب والاتصال في تطور المصطلح العلمي:

لقد صرف العلماء القدامى جهودهم في دراسة المصطلحات العلمية، وحرصوا حرصا كبيرا على تثبيت هذه المصطلحات التي ما فتئت تتطور وتقوى خاصة بعد احتكاكها بغيرها من اللغات؛ فاللغات العظيمة الحية التي أثرت في الآداب العالمية وصار لها شأن بين لغات العالم هي تلك اللغات التي فتحت صدرها لغيرها، فأمدت وأخذت [1]

واللغات تستعين بعضها بألفاظ بعض، وهذه الظاهرة أجمع عليها علماء اللغات، وتتولاها حديثا المجامع اللغوية وأمثالها.

واللغة العربية من اللغات التي أثرت في اللغات الأخرى وتأثرت بها، فقد عرفت دخول الألفاظ الأجنبية إلى معجمها وأكثر هذه الألفاظ أخذ عن الفارسية، والقليل منها عن اليونانية والهندية والسريانية. والسؤال المطروح هو: ما هو الموقف اللغوي الذي اتخذه أسلافنا من الحضارات التي كانت محيطة بهم، ومن المفردات اللغوية الدخيلة التي وفدت إليهم، وحاولت التسلل إلى لغتهم بتأثير الاختلاط والجوار والتجارة والتقارب الإنساني واللغوي .

أ - المصطلح في الجاهلية

تعتبر اللغة العربية إحدى اللغات السامية وأرقاها مبنى ومعنى واشتقاقا وتركيبا، وهي غنية كل الغنى بمفرداتها ومجازاتها واستعاراتها وأساليبها المختلفة، وبعناصر النموّ والتجديد فيها، من اشتقاق ومرادفات ومشترك لفظي وقياس لغوي، وبما تتوسع به في النمو بالترجمة والتعريب وغير ذلك[2].

لقد تفطّن الإنسان العربي على مدى العصور إلى حقيقة أنّ الحياة لا تتطوّر إلا نتيجة تراكم الخبرات الإنسانية، وهذه لا يمكن تحقيقها إلا عن طريق الاتصال بالغير والاحتكاك به، وبالتالي الأخذ والعطاء. كما تفطن إلى أن اللغة والأدب ما هما إلا تعبير عن هذه الحياة وإعادة تنظيم الخبرات الإنسانية؛ لذلك نجده حريصا على تطبيق هذه الحقيقة وتمثلها في جميع شؤونه وتصرفاته منذ الجاهلية، "هذا على عكس ما شاع بين الناس من أنّ العرب كانت في جاهليتها أمة منعزلة عن العالم لا تتصل بغيرها أي اتصال ... والحق أنّ هذه الفكرة خاطئة وأنّ العرب كانوا على اتصال بمن حولهم ماديا وأدبيا"[3] فقد تلاقت القبائل العربية في الغزوات وأيام العرب والحروب والمواسم الدينية، كما الألفاظ الأعجمية حتى أصبح بعضها وكأنّه عربي خالص. من هذه الألفاظ: قرطاس، درهم، دينار، سجل، برنس، كرسي، دمقس، استبرق، قصر... وهذه الكلمات الأعجمية دخلت في الشعر الجاهلي أقامت صلات مع

---

[1] - ابن حمو، **المصطلحات اللغوية والنحوية**، مجلة الحضارة، يصدرها المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الإسلامية، وهران، العدد5 نوفمبر 1998 ص168.

[2] - محمد عبد المنعم خفاجي، **المصطلح العلمي في اللغة العربية**، مجلة الحضارة العربية الإسلامية، المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الإسلامية، وهران، العدد5، 1998 ص97.

[3] - أحمد أمين، **فجر الإسلام**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط11، 1975 ص12.

الدول الأجنبية المتاخمة لها عن طريق التجارة، وإنشاء المدن العربية المتاخمة التي تتغلغل في جزيرة العرب. فلم ينحصر العرب في جزيرتهم بمعزل عن تأثيرات الحضارات المتاخمة، فأضيفت إلى لغة عدنان ثروة الحضارة القحطانية وحضارة مصر وفارس والروم والحبشة عن طريق التجارة أو التنافس بين الحيرة وغسان، والفرس والروم من ورائهما. فكانت اللغة تواصل تطورها مكملة ما ينقصها بما تأخذه من لغات تلك الحضارات الواسعة النطاق.[1] فدخلت على اللغة العربية كلمات ومصطلحات أعجمية لمسميات لم تكن عند العرب ثم طرأت عليهم فأخذوها بأسمائها، غير أنّ اللسان العربي استطاع أن يصقل هذه وبعضها ورد في القرآن الكريم[2].

ويذكر ابن قتيبة أنّ الأعشى من أكثر الشعراء الذين استخدموا الألفاظ الأعجمية في شعرهم، خاصة الفارسية لأنّه كان كثير التردد على ملوكها.

ب- في العهد الإسلامي

إنّ الإسلام صادف حين ظهوره لغة مثالية موحّدة، فزاد من شمول تلك الوحدة، وقوّى من أثرها بنزول قرآنه بلسان عربي مبين، وكان تحديه لخاصة العرب وبلغائهم، أن يأتوا بمثله أو بآية من مثله أدى إلى تثبيت تلك الوحدة اللغوية على حين دعا العامة إلى تدبر آياته وفقهها وفهمها وأعانهم على ذلك بالتوسع في القراءات ومراعاة اللهجات في أحرفه السبعة المشهورة[3] إضافة إلى هذا فإنّ الإسلام ساعد العرب على توثيق الصلة فيما بينهم أولا ثم بينهم وبين جيرانهم من الأجانب ثانيا، حيث بدأت الشعوب الأجنبية تدخل في الدين الإسلامي أفواجا أفواجا ملتزمة بمبادئه وشعائره حتى انصهرت في بوتقة هذا الدين الجديد الذي وحد بين جميع الشعوب المسلمة وجعلها لحمة واحدة لا تتجزأ، إلا أنّ هذه الوحدة وهذا الانصهار في الآخر لم يمنع الشعوب من الاحتفاظ بثقافاتها وعاداتها ولغاتها الأصيلة المتوارثة مما أدى إلى تمازج الثقافة العربية بغيرها من الثقافات الأجنبية، وتسلل بعض المصطلحات الأجنبية إلى اللغة العربية، "فكما كان في الأجناس امتزاج وتزاوج وتوالد، كان في اللغة امتزاج وتزاوج وتوالد، ونشأ عن ذلك، ثقافة مزجت بين العربية والفارسية واليونانية. وقد يختلف هذا التأثير بحسب اختلاف الثقافة حيث أخذ العرب عن الفرس بعض الفنون الخاصة والتشريعية، كما أخذوا عن اليونان الفلسفة وضروبا من التفكير"[4].

وقد لاقى الأعاجم عند دخولهم الإسلام صعوبة كبيرة في تعلم اللغة العربية، والنطق بها للقيام بالشعائر الدينية، وقراءة القرآن، ورغم اجتهادهم فقد ظلت العجمة طاغية على ألسنتهم، بل تعدّت إلى العرب نتيجة مخالطتهم الأعاجم، فتغيرت ألسنتهم وانتشر اللحن، الأمر الذي دعا العلماء إلى النهوض في وجه المد الطاغي من العجمة، وراحوا يضعون القواعد الثابتة للغة العربية ليعرف صحيحها من فاسدها.

والمسألة هنا في غاية الدقة، فقد يوصل الخطأ في حركة أو إعراب إلى اللبس في المعنى أو إلى تحريم الحلال أو

---

[1] – حنا الفاخوري، **تاريخ الأدب العربي**، المكتبة البوليسية، بيروت، ط10، 1980، ص24.

[2] – عمر فروخ، **تاريخ الأدب العربي**، القاهرة، ج1 ص37-38.

[3] – صبحي الصالح، **دراسات في فقه اللغة**، ص59.

[4] – طه حسين، المجموعة الكاملة (**الأدب والنقد**) المجلد الخامس، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1982ص582.

تحليل الحرام وهكذا ربط القرآن باللغة حتى قيل: "لا يقرئ القرآن إلا عالم باللغة"، وهو السبب نفسه الذي دعا إلى نشأة المدارس النحوية بالعودة إلى أصل اللغة ومركزها وهم البدو، فاللغويون الأوائل وجلّهم من القراء النحاة، وهم الرواة الذين رحلوا إلى البادية وأقاموا فيها، ومنهم "ابن أبي إسحاق الحضرمي (ت 117 هـ)، عيسى بن عمر (ت149 هـ)، أبو عمرو بن العلاء (154 هـ)، الخليل بن أحمد (175 هـ)، يونس (182 هـ)، أبو زيد الأنصاري (215 هـ)، النضر بن شميل(203 هـ) من مدرسة البصرة، والكسائي(189 هـ)، الفراء (207 هـ)، أبو عمرو الشيباني (206 هـ) وابن الأعرابي (231 هـ) من الكوفة، وأبعد أهل الحضر من الاستشهاد في اللغة لأنّ الفساد انتشر في لسانهم[1].

إنّ التغيير الجذري الذي طرأ على حياة العرب في الإسلام، اقتضى تغيير معاني بعض الألفاظ التي كانت موجودة في الجاهلية كما دخلت ألفاظ جديدة قوّت رصيد اللغة كالصلاة والزكاة والصوم والجهاد والصدقة والفرض والسنة والحديث والنافلة وغير هذا مما يدخل في باب الألفاظ الإسلامية، ومعنى هذا أنّها دلت دلالات جديدة في هذه الفترة التاريخية، "كما أنّ هذه الدراسات العميقة التي قام بها اللغويون الأوائل والتنقل العلمي الجاد والعمل المصحوب بالإخلاص، قد أتاح للغة القرآن من الظروف والعوامل ما وسع من طرائق استعمالها، وأساليب اشتقاقها، وتنوع لهجاتها، فانطوت من هذا كله على محصول لغوي لا نظير له من لغات العالم"[2].

ج- في العصر العباسي

لقد بلغت اللغة مرحلة الكمال والنضج في العصر العباسي، وذلك نتيجة التطور الحضاري الكبير الذي شهدته الحياة العربية آنذاك، فالبيئة العباسية بما حوت من مظاهر الحضارة المادية، ومن أوجه الثقافة الأجنبية خاصة، وبما حدث فيها من جوانب الحياة الاجتماعية، اقتضت ألفاظا جديدة للتعبير عن تلك المظاهر والأوجه والجوانب، " فكانت لغة القرآن والحديث وما فيها من معان في منتهى السمو والرفعة، وما فيها من تغيرات دينية واجتماعية وتشريعية لا عهد للعرب بها في جاهليتهم، كما استطاعت أن تكون أداة لكل ما نقل من علوم الفرس والهند واليونان وغيرهم، وفي نحو ثمانين سنة من بدء العهد العباسي كانت خلاصة كل هذه الثقافات مدونة باللغة العربية، والعرب الذين لم يكونوا يعلمون شيئا من مصطلحات الحساب والهندسة والطب، والأخلاق والسياسة والفلك والتشريح والنبات والحيوان والفلسفة ولا شيئا من منطق أرسطو وفلسفته، أصبحوا في قليل من الزمن يعبرون بالعربية عن أدق نظريات إقليدس وحساب الجيب الهندي، وما وراء المادة لأرسطو، ونظريات الهيئة لبطليموس، وطب غالينوس، وحكم بزرجمهر، وسياسة كسرى، ونقلوا إلى العربية روائع أبقراط وفيتاغورس وأفلاطون وديسقوريدس وأرخميدس وما كانت العربية تستطيع ذلك كله لولا ما بها من حياة ومرونة ورقي" [3] فوسّعت بالتالي كلّ مصطلحات هذه العلوم إلى جانب علوم أخرى.

---

[1]- صبحي الصالح، **دراسات في فقه اللغة**، ص 113 .

[2]- إبراهيم السامرائي، **التطور اللغوي التاريخي**، ص56.

[3]- أحمد أمين، **ضحى الإسلام**، ص291.

وقد تجلت العبقرية اللغوية في العرب عن ثلاثة أنواع من الألفاظ المولدة: وهي صيغ مشتقة من جذور عربية نحو: تلاشى أي اضمحل، واستهل بمعنى استحق، والإيقاع بمعنى الضرب على الدف، وكذلك لفظة أدب الدالة الإنتاج الراقي من الشعر والنثر، ثم حدث في البيئة العباسية مظاهر ومعان لم يجد العرب لها في لغتهم ألفاظا تؤديها من قرب أو من بعد، فعربوا ألفاظها الأجنبية نحو "أنذزاه" الفارسية فإنّها أصبحت هندسة و"كليما" اليونانية أصبحت إقليم وبقي عدد من الكلمات لم يتسنَّ تعريبها، فظلّت مدّة على لفظها الأجنبي نحو: "أباذميا" و"أسطقس" و"أسطرونوميا"، ثمّ أوجدت لها ألفاظًا عربية هي: الوباء، العصر، الهيئة أو الفلك وبقيت ألفاظ لم يجد العرب حاجة إلى تعريبها، أو لم يتأت لهم تعريبها، نحو قانون، جغرافيا، إسطرلاب، كاغد... إلخ وهذه كلها تسمى الألفاظ الدخيلة لأنّ العجمة ظلت ظاهرة عليها.

ولا شكّ أنّ القارئ لمؤلفات ابن سينا، وابن الهيثم، والبيروني، وجابر، والخوارزمي، والرازي، وابن النفيس، والزهراوي، والصوفي، وابن يونس، وابن العوام وغيرهم ليتملكه الإعجاب والإكبار بأسلوبهم العلمي الأخاذ ولغتهم العربية السليمة ومصطلحاتهم الدقيقة في الفلك والرياضيات والضوء والهندسة والجبر والطب والكيمياء... لقد طوعوا العربية لمصطلحات هذه العلوم الطبيعية المختلفة وأوجدوا مصطلحات خاصة تميز كل علم عن الآخر[1].

إنّ اللغة العربية استطاعت أن تجتاز أثناء نهضة العرب في العصر العباسي صعوبات الترجمة واستيعاب المعاني الحضارية والأعجمية، فتم لعلمائنا وضع الكثير من الألفاظ بطرق شتى وبرهنت على حيويتها وقدرتها المتجددة على الاستيعاب.

ومن القدماء الذين عنوا بتسجيل المصطلحات نذكر الخوارزمي صاحب كتاب "مفاتيح العلوم"، والجرجاني صاحب كتاب "التعريفات"، والجواليقي وكتابه "المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم"، والخفاجي جامع كتاب "شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل"، والتهانوي في "كشاف اصطلاحات الفنون"، وكتاب "التنوير في الاصطلاحات الطبّية" لأبي منصور الحسن بن نوح القمري، ومعجم اصطلاحات الصيدلة والعقاقير في كتاب "القانون" لابن سينا وكتابه "الحاوي" عن جالينوس ...

هكذا يتبين لنا من خلال هذا العرض أنّ الاتصال والتمازج لعبًا دورًا مهمًّا في تطور المجتمع العربي من جميع النواحي خاصة الناحية اللغوية فازدادت المصطلحات تطورا، واكتسبت اللغة العربية من خلال هذا الاحتكاك بينها وبين الأمم الأخرى مصطلحات كثيرة عمل العلماء بدافع الرغبة والغيرة والدعوة إلى ترسيخها وتثبيتها في مؤلفات مختلفة: علمية وفنية وأدبية مما ساعد على تطور الحركة الفكرية والعلمية في العصر العباسي خاصة، فالعصر العباسي هو مرحلة من مراحل إغناء العربية بالمصطلحات؛ وذلك عندما نقلت العلوم اليونانية والفارسية والهندية إلى العربية واتسع نطاق الترجمة ثم التأليف العلمي فوضعت أسماء لكثير من الأمراض والنباتات والحيوانات، ووضعت مصطلحات الفلسفة والمنطق التي ورثناها نحن، كأنّما كانت معروفة منذ أن كان العرب وأمثالها: الأزل، الأبد، القديم والحديث، العلة والمعلول، الوجود والعدم، الصورة والجوهر، العرض والموضوع، الجزئي والكلي،

[1]- عمر فروخ: **تاريخ الأدب العربي**، ج2 ص 520.

القياس والمقولات، وأشباهها من الألفاظ العديدة التي أصبح لها كلها في الفلسفة والمنطق معان اصطلاحية محدودة[1].

إنّ اللغة العظيمة هي اللغة التي تتعامل مع غيرها أخذا وعطاء، ومقدرة اللغة على تمثل الكلام الأجنبي يعدّ ميزة وخصيصة لها، إذا هي صاغته على أوزانها، وأنزلته على أحكامها، وجعلته جزءا لا يتجزأ من عناصر التعبير فيها.

2 – وسائل العرب في وضع المصطلحات العلمية

اعتمد القدماء في وضع المصطلحات العلمية العربية على جميع الوسائل التي من شأنها أن تنمي اللغة العربية وتثريها كالاشتقاق والمجاز والنحت والتعريب.

أ – الاشتقاق: استعمل القدماء الاشتقاق في مواطن عديدة فاشتقت أسماء الفاعل والمفعول به والزمان والمكان والآلة والأدوات والأعضاء والأمراض والآفات والأدوات والصفة المشبهة، واسم التفضيل كلها من المصدر، وعلى حساب بعض الدارسين فإنّه يمكن استخراج أكثر من مائتي لفظ من كل مصدر.

ب – المجاز : المجاز كما تقول كتب البيان "هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى السابق، مثل كلمة "الدرر" المستعملة بمعنى الكلمات الفصيحة في قولك: فلان يتكلم بالدرر، فإنّها مستعملة في غير ما وضعت له، فهي في الأصل للآلئ الحقيقية، ثمّ نقلت إلى الكلمات الفصيحة لعلاقة المشابهة بينهما في الحسن، والذي يمنع من إرادة المعنى الحقيقي قرينة "يتكلّم"، وهذا النقل في الألفاظ من معانيها الأصلية إلى معان علمية، وسيلة ناجعة خصبة من وسائل تنمية اللغة وفي جعلها صالحة لاستيعاب العلوم الحديثة، وقد اعتمد العرب منذ العصر الإسلامي الأول على المجاز فتوسعوا في معاني الألفاظ التي كانت معروفة في الجاهلية، ونقلوا كثيرا منها من معناه الأصلي إلى معنى علمي جديد اقتضاه التغير الجدري الذي طرأ على حياتهم، لذلك فإنّ كثيرا من الألفاظ تغيرت معانيها في الإسلام كأن يكون المعنى عاما في الجاهلية وخصص في الإسلام، كالصلاة والزكاة والحج والبيع ...ثم ظهرت الألفاظ العلمية كالنحو والصرف الإعراب والإدغام وأسماء الحركات وأسماء بحور الشعر بمعان لغوية واصطلاحية استعملت مجازا عندما وضعت في أيام الخلفاء الراشدين والأمويين .قال ابن خالويه : إنّ لفظة الجاهلية اسم حدث في الإسلام للزمن الذي كان قبل البعثة، والمنافق اسم إسلامي لم يعرف في الجاهلية . وقال ابن الأعرابي : لم يسمع قط في كلام الجاهلية ولا في شعرهم بكلمة فاسق ...الخ

ج ـ النحت: وهو في اللغة: النشر والقشر والبري، يقال نحت الخشب والحجارة إذا براها وورد في القرآن الكريم "وتنحتون من الجبال بيوتا"، أمّا اصطلاحا فهو انتزاع كلمة من كلمتين أو أكثر على أن يكون ثمة تناسب في اللفظ والمعنى بين المنحوت والمنحوت منه، وقد استعمل العلماء قديما النحت، لكن استعماله كان ضئيلا مثل، البسملة، الحوقلة، الحمدلة، العنعنة، العبشمي، العبقسي، وكان بعض علماء اللغة يعدون النحت ضربا من ضروب

[1]– مصطفى الشهابي ، **المصطلحات العلمية في اللغة العربية**، ص250

الاشتقاق، وقد أقر مجمع اللغة العربية بالقاهرة جواز النحت عندما تلجئ الضرورة العلمية إليه.

د ـ التعريب: تعريب الاسم الأعجمي هو أن تتفوه به العرب على مناهجها، نقول عربته العرب وأعربته، وكذلك المعرب هو ما استعمله العرب من الألفاظ الموضوعة لمعان من غير لغتها والمعرب يسمّى الدخيل.

واستعمال العرب للألفاظ الأجنبية ودمجها في لسانهم شيء قديم، سببه اتصالهم بالأمم الأخرى وحاجتهم إلى أسماء تدل على مسميات لا وجود لها في الجزيرة العربية. فقد عرب في الجاهلية عن الفارسية: الإبريق، السندس، الدولاب، الكعك، الديباج، النرجس ...إلخ، وعربوا عن الهندية : الزنجبيل، الفلفل، الشطرنج، الصندل، الكافور، المسك، القرنفل، وعن اليونانية: القسطاس، الفردوس، القنطار، الترياق ...إلخ .

وفي صدر الإسلام اضطر العرب إلى تعريب عدد كبير من الألفاظ، نظرا لاحتياجهم إليها في حياتهم المنحصرة فأخذوا من الفارسية: الكوز، الجرة، الطست، الخوان، الطبق، القصعة، الخزّ، الياقوت، الفيروز، البلور، القرفة، النسرين، السوس، العنبر، البستان، الأرجوان، القرمز، السراويل، التنور، الجوز واللوز، الميزان الرئبق، الباشق، الطيلسان، المارستان، الصك، الصولجان، الفرسخ، الزمرد، الآجر، الجوهر ...إلخ .

كما عربوا عددا كبيرا من المصطلحات بقيت إلى يومنا هذا مثل : دغماطيقيين dogmatique وفسيولوجيا وبطلوجيا pathologie وكانوا في بداية الأمر يتبعون هذا المصطلحات بشرح معانيها إلى أن تؤلف الكلمة في العربية ويتحدد مدلولها .

ففي التعريب إذن مجال واسع جدا لوضع المصطلحات على أن لا يجري التعريب بطريقة عشوائية، وإنّما باتباع قواعد كالتي اتبعها العرب الأوائل ومن جملة هذه القواعد .ألا يلجأ إلى التعريب إلا عندما لا تفلح الطرائق الأخرى وأن يعطى للكلمة المعربة صيغة عربية تمكنها من الانضمام إلى أخواتها الكلمات العربية الأخرى حتى تنطبق عليها قواعد النحو والصرف.

وكان هناك فريقان في أمر التعريب:

الأوّل: يذهب إلى وجوب أن تتبع الكلمة المعربة وزنا عربيا فليس يكفي أن تتكلم العربية باللفظة الأعجمية حتى تغدو معربة.

الثاني: وفيه سيبويه وجمهور أهل اللغة يذهب إلى أنّ التعريب أن تتكلم العرب بالكلمة الأعجمية مطلقا، يلحقونها بأبنية كلامهم حينا وحينا لا يلحقونها، بل وقد ذهب بعضهم إلى القول : إذا عربت الألفاظ الأعجمية وتمكنت لدى العرب صرفها العرب واشتقوا منها مثل : ديباج، زنجبيل، لجام ..إلخ

ونحن نرى ألفاظا كثيرة عربت وشاع استعمالها مع وجود نظيرها في اللغة مما يدل على مرونة هذه اللغة وقدرتها على الاستيعاب والنقل من اللغات الأخرى دون حرج، فلم يصبها الفساد، ولم تفقد هويتها بل على

العكس ازدادت غنى وخصوبة وأصبحت لغة عالمية للحضارة والفكر والدين لفترة طويلة[1].

3ـ المصطلح النحوي : سوف لن يكون بوسعنا في بحث متواضع كهذا أن نذكر جميع الجهود في مجال وضع المصطلح النحوي، فذلك يحتاج إلى دراسة مستفيضة، ولكن ما لا يدرك كله لايترك جله، لهذا نكتفي في عجالة عن المصطلح النحوي وجهود القدماء في وضعه مركزين في ذلك على جهود سيبويه، وعلى الاختلافات المصطلحية بين البصرة والكوفة.

ونقصد بالمصطلح النحوي "تحديد دائرة الاصطلاح في ميدان النحو لتخصيصه بالبحث"، وبالنظر إلى ما اتفق عليه النحاة، فإنّ الباحث لا يجده عند غيرهم بالمعاني الاصطلاحية نفسها التي يتداولها النحاة بينهم يقول الأصمعي: "قلت لأعرابي: أتهمز إسرائيل؟ قال: إنّي إذا لرجل سوء، قلت: أفتجر فلسطين ؟ قال: إنّي إذا لقوي".

فالأصمعي يسأل عن أشياء اصطلاحية بعيدة جدا عن تفكير الأعرابي الذي لا يعرف للهمز معنى إلا العيب والشتم، ولا يعرف للجرّ معنى إلا السحب"[2].

لقد نشطت الدراسات النحوية في العهد العباسي وجهود أسلافنا في إرساء قواعد النحو لا تنكر، فالقاعدة النحوية التي يستظهرها أطفالنا اليوم، لا نستطيع أن تصور مقدار الجهود التي بذلها أولئك الأسلاف والخصومات التي قامت بينهم فيها حتى استقرت على الشكل الذي وصل إلينا .

إنّ معرفة النحو مرهونة بمعرفة مصطلحاته، فهل قامت هذه المصطلحات النحوية دفعة واحدة وفي زمن واحد؟و هل قام بها فرد أو مجموعة أفراد في وقت واحد؟.

إنّ العرب الأوائل لم يكونوا يعرفون النحو بمصطلحه هذا، ولكنّهم عرفوه بمصطلحات أخرى هي (العربية، الكلام، الإعراب والمجاز ورجح عوض حمد القوزي أن يكون أول ما عرف اصطلاح النحو بمعناه العلمي على يد عبد الله بن إسحاق (ت 118 هـ) وليس على يد الخليل بن أحمد (ت175 هـ)

أمّا نشأة النحو فبرز فيها رأيان :

الأول : يذهب إلى أنّ نشأة النحو عربية خالصة من هؤلاء الصيرفي، ابن الأنباري، السيوطي، كما يرى بعض المستشرقين أنّ نشأة النحو عربية، وأنّ تقسيم الكلام إلى اسم وفعل وحرف، تقسيم عربي خالص ومنهم: ليتمان وغيره والعقاد والرافعي

والثاني : يذهب إلى أنّ نشأة النحو ليست عربية خالصة بل هناك تأثيرات أعجمية ساهمت في نشأته، ويثبت أحد الباحثين تأثيرا هنديا في وضع النحو على أساس أنّ الهنود عنوا بدراسة الأصوات ومخارجها وهو رأي لا يستند إلى حجة، وقد نفي التأثير الهندي في علم الأصوات العربية، كما أنّ التشابه في مخارج الحروف في العربية

[1]-عبد الكريم خليفة ، **وسائل تطوير اللغة العربية العلمية** ، همزة وصل ، ص104 .

[2]- عوض حمد القوزي ، **المصطلح النحوي** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1983 ص150

والسنسكريتية أمر يوجد بين اللغات وليس دليلا على الأخذ[1].

ويرى بعض المستشرقين، أنّ النحاة العرب أخذوا بالاقتباس أو النقل من النحو السرياني، ويساندهم في ذلك " تمام حسان" و"د. حسن عون"، يقول تمام حسان : أنّ أبا الأسود الدؤلي كان يعرف السريانية، وكان كثيرا غيره على علم بها، وكان عرب الشام والعراق يعرفون أنّ للسريانية نحوا، ويقول أغلب الظن عندي أنّ واضعي النحو أخذوا التقسيمات السريانية وقلدوها، فجعلوا الكلام اسما وفعلا وحرفا كما جعله السريان من قبلهم حيث أخذوه من النحو اليوناني فاستعاروا منه ما يساعدهم في تدوين النحو العربي . ويرى آخرون أنّ النحو محصلة لجهد السابقين وهذا هو الرأي الأقرب إلى الصواب.

لقد نشأ النحو العربي لحفظ القرآن وتيسير فهمه، في وقت انتشر فيه اللحن، وهو نفس السبب الذي دعا الأمم التي سبقت العرب إلى وضع النحو، فالنحو الهندي كما هو معروف نشأ في خدمة "الفيدا"، وهو كتاب الهنود المقدس، ونشأ النحو السرياني لخدمة النصوص الدينية، ونشأة العلوم العربية كلها كانت لخدمة النص القرآني، فليس غريبا أن تكون نشأة النحو العربي عربية خالصة، ولا يعني هذا أنّ العرب لم يتأثروا بالثقافة الأجنبية، فالنحو العربي بخاصة قد خضع لتأثير يوناني – لا شك في وجوده – غير أنّ هذا كان في مرحلة متأخرة تتجاوز مرحلة النشأة بقليل[2] . وعند كثيرين أنّ أبا الأسود هو أول من وضع النحو بالبصرة، ولكننا نميل إلى القول بأنّ البحث اللغوي بالمعنى الفني قام به الجيل التالي لتلامذة أبي الأسود وهم الطبقة التي أخذ عنها الخليل وسيبويه .

ويذكر بروكلمان أنّ الخليل هو المؤسس الحقيقي لعلم النحو العربي الذي وضعه سيبويه في كتابه بعد أن تلقاه عنه وتعلمه عليه . فقد وضع الخليل في النحو بعض المصطلحات المختصرة والمحددة، وقد نقل الخوارزمي بعض هذه المصطلحات وشرحها مثل الرفع والنصب والخفض والضم والفتح والكسر والجر والحشو والإمالة والنبرة وغيرها[3]، وواصل سيبويه (ت 188 هـ) مسيرة شيخه، حيث ثبت المصطلحات التي وضعها الخليل وأخذ في وضع مصطلحات جديدة، ولما كان الدرس النحوي في بدايته مضطربا فلقد اختلطت المصطلحات التي استعملها سيبويه، حيث اندثر بعضها وحل محله غيره وبقي البعض قيد الاستعمال، ومن المصطلحات التي اندثرت "مجاري أواخر الكلم" وهي التي اصطلح الآن على تسميتها "أنواع الإعراب والبناء"، الحشو وهو الآن الصلة، "الحروف التي للأمر والنهي وليست بفعل" يطلق عليها الآن "أسماء الأفعال"، البيان أصبح فكّ الإدغام، أحداث الأسماء، وهي المصادر، الوقف، وهو السكون، الأسماء المتمكنة وهي الأسماء المعربة، الأسماء غير المتمكنة، وهي الأسماء المبنية . وقد يستخدم سيبويه مصطلحا في موضع، ثم يعدل عنه إلى مصطلح آخر، مثل مصطلحي التحقير والتصغير للدلالة على معنى واحد فعاش الثاني ومات الأول.

وفي غياب المصطلح كان سيبويه يلجأ إلى التعريفات أو التفسيرات التي يكون فيها ما يوصف به المراد وتستبين

---

[1]– محمد عبد المنعم خفاجي، **المصطلح العلمي في اللغة العربية**، مجلة الحضارة ، ص120

[2]– محمد حسن عبد العزيز ، **مصادر البحث اللغوي** ، دار الكتاب الجامعي ، ط1 ، 1998 ص88 .

[3]– عبد الحكيم الأسعد ، **بين النحو و المنطق و علوم الشريعة** ، دار العلوم للطباعة و النشر، ص202 .

به خصائصه التي تدل عليه وتميزه عن سواه كقول سيبويه: "باب من الفعل يستعمل في الاسم ثم تبدل مكان ذلك الاسم اسما آخر، فيعمل فيه كما عمل في الأول[1]و هو البدل.

إنّ كتاب سيبويه يدل على أنّه لم يكن أول مؤلف يكتب في النحو، كما أنّ صاحبه ليس أول نحوي في العربية، وهذا الأثر الضخم نقل إلينا عددا من المصطلحات النحوية بأشكال وأنماط مختلفة متباينة في الطول والقصر وطريقة التعبير.

والملاحظ أنّ كتب التراث تتساهل في نسبة المصطلحات إلى أربابها ويؤثر بعضها التعميم بدل التخصيص، فتراهم ينسبون هذا المصطلح إلى البصريين عامة وهو في الحقيقة للخليل أو سيبويه ،أو يقولون إنّه كوفي وما هو إلا للكسائي أو الفراء

وقد كان الصراع على أشده بين البصرة والكوفة، فحاول كل فريق أن يبرز في ميدان النحو ومصطلحاته وتخريجاته، ولا عجب إذا رأينا فروقا عديدة بين المدرستين، فهناك مصطلحات اختصّ بها البصريون دون سواهم منها: المضارع، الأمر، اسم الفاعل، اسم الفعل الماضي، اسم الفعل المضارع، اسم فعل الأمر، المفعول به، المفعول المطلق، المفعول معه، المفعول فيه، المفعول لأجله، ضمير الفصل وهو الضمير الداخل بين المبتدأ والخبر مثل هيثم هو العاقل، وضمير الشأن وهو ما لم يتقدمه في الذكر ما يعود عليه كالضمير الوارد في قوله تعالى: (**قل هو الله أحد**)، وحروف الزيادة، أو حروف الإلغاء، مثل إنّ وأنّ وما ولا ومن والباء والإدغام (بالتشديد) واسم الإشارة هذا الذي لا يعمل عمل كان نحو هذا زيد قائما والنفي ولا النافية للجنس، والظرف والتمييز والبدل والصفة أو الوصف وحروف الجر والعطف بالحروف، وواو المعية والحشو، وهو ما يقع بين الاسم الموصول، والتوكيد والاسم الجامد وهمزة القطع وهمزة الوصل وتاء التأنيث[2] .

أمّا مدرسة الكوفة، فقد استخدمت مصطلحات غير التي استخدمها خصومهم، فالفراء استعمل " الفعل الدائم" وهو ما سماه البصريون "اسم الفاعل" و"ما يجري وما لا يجري"، مقابل ما لا ينصرف وما لا ينصرف و"الخالفة" وهو اسم الفاعل.

أمّا هذا الاختلاف في وضع المصطلحات بين المدرستين فقد يرجع السبب فيه إلى خوف الكوفيين من أن تذوب شخصيتهم في البصريين، إن لم يكن لهم نحو خاص وبينهما ما بينهما من دواغل وإحن؛ ولذلك اختصموا بمصطلحات نذكر منها المستقبل وهو الأمر والمضارع عند البصريين، الفعل الدائم وهو اسم الفاعل، والخالفة وهي تسمية الفراء لما سماه البصريون اسم الفعل، وقد عدها الفراء قسما رابعا من أقسام الكلمة إلى جانب الإسم والفعل والحرف، أما سائر الكوفيين فلم يجعلوا الخالفة قسما قائما بذاته، كما فعل البصريون والفراء بصرف النظر عن اختلاف التسمية عندهما بل أدخلوها في طائفة الأفعال، وعدوها أفعالا حقيقية لأنّها تعمل عمل الأفعال ولدلالتها على الحدث والزمان والمفعول وهو ما سماه البصريون المفعول به، وأشباه المفاعيل وهي ما سماه

[1]- راجع سيبويه ، ج1ص75 .

[2]- المرجع السابق ، بين النحو و المنطق ص210 .

البصريون المفعول المطلق، معه، لأجله، فيه، ضمير العماد، ضمير المجهول، حروف الصلة، أو الحشو أو اللغو والإدغام (بالتخفيف) والتقريب العامل تحمل كان، والجحد، ولا التبرئة والنسق [1].

والخلاف بين المدرستين كان له أثر إيجابي حسن على تقدم النحو ونضجه وتحديد مصطلحاته، والإسراع به إلى الاستقرار، إلا أنّ الاختلاف ظل مستمرا بين المدرستين، فعندما يقول البصري النعت يقول الكوفي الصفة، ويقول الكوفي الصفة ويقول البصري البدل، فيكون المقابل "الترجمة" وواو المعية، فيكون المقابل "واو الصرف"، والقائمة طويلة.

وحدثت بعد رحيل الطبقة الأولى من العلماء أمور عقدت النحو، ومالت به إلى الفلسفة والجدل ومزج بعلم الكلام ومن ذلك ما يقوله ثعلب عن الفراء: كان يتفلسف في تصانيفه حتى يسلك في ألفاظه كلام الفلاسفة[2].

وعلى الرغم مما أصاب اللغة العربية من الضعف والتقهقر، فقد واصل العلماء بحوثهم في مجال المصطلح، يقف على رأسهم ابن هشام الذي يعدّ رائدا في هذا المجال حيث حصر الألفاظ والأدوات بحسب الترتيب الهجائي في مصنفه : مغني اللبيب.

خاتمة

يتبين من العرض السابق أنّ اللغة العربية تشق طريقها، وهي دائما في تطور لحل مشكلات اللغة التي تعبر عن الإنسان وحاجاته، والإنسان لا يعرف الاستقرار والثبات، فلا بد من الحفاظ على اللغة لأنّ بها تحفظ الصلة بين حاضر الأمة وماضيها، ولنا في أسلافنا أسوة حسنة، إذ العلوم في حاجة دائمة إلى تاريخ معرفي، ولذا وجب علينا تمثل التراث الضخم الذي تركه لنا أسلافنا ثمّ نحاول تجاوزه بحسب مقتضيات العصر ومستجدّاته.

وأختم بقول حافظ إبراهيم على لسان اللغة العربية :

وسعت كتاب الله لفظا وغاية ... وما ضقت عن آي به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة ... وتنسيق أسماء لمخترعات

[1]- المرجع نفسه ص109 .

[2] - محمد حسين آل ياسين ، **الدراسات اللغوية عند العرب** ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ط1 ، 1980 ص388 .